

لِلْجِهَادِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

للشيخ حسن الصغار

.....

يقول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة :
((اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة
لؤلؤائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه
رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار والقائمة

وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم
الخسف ، ومنع النصف)) .

اهمية الجهاد :

ان من يطلع على مصادر التشريع الاسلامي من الكتاب والسنة يجد
فيهما تركيزاً كبيراً واهتماماً ضخماً بموضوع الجهاد . . ففي القرآن الكريم
ما يقارب الاربعين آية تتحدث عن الجهاد بلفظ الجهاد ومشتقاته
كقوله تعالى :

((يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم)) .
((انفروا في سبيل الله خفاً وثقلاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم في
سبيل الله)) .

((وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجراً عظيماً)) .

وهناك اكثر من (١٠٠) آية تتحدث عن الجهاد بلفظ القتال
ومشتقاته ، كقوله عز وجل :

((فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم)) .
((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) .
((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم
يرزقون)) .

بالاضافة الى مجموعة من الآيات تتحدث عن الجهاد بلفظ الغزو و
الحرب والشهادة ومشتقاتها ، بينما لا نجد في القرآن الحكيم عن الحج
الآ (٥) آيات فقط وعن الخمس آية واحدة لا غير وعن الصوم (١٠) آيات
تسريباً .

وحيثما نرجع الى السنة المطهرة نجد مئات الاحاديث والنصوص
ترکز على موضوع الجهاد ، وتقرر بصراحة : ان الجهاد اهم وافضل من
جميع الاعمال والعبادات الاخرى .

فعن الرسول الاعظم (صَلَّى الله عليه وآله) : ((فوق كل ذي برّ
برّ حتى يقتل في سبيل الله ، فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ)) .
ويقول الامام محمد الباقر (عليه السلام) : ((الجهاد الذي فضّله
الله على الاعمال وفضّل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والغفرة)) .

واذا ما قمنا بجولة عابرة في ربوع نهج البلاغة فسنرى ان الامام
علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعطي للجهاد مكانة خاصة ويرفعه الى
اعلى مستوى من الاهمية والتقدير ويمنحه اعظم الصفات حيث يقول :

((الجهاد عزّ الاسلام)) . ((الله . الله . في الجهاد باموالكم
وانفسكم في سبيل الله)) . ((وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك
في الله لومة لائم)) . ((ان افضل ما توسّل به المتوسّلون الى الله
سبحانه وتعالى : الايمان بالله وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذرورة
الاسلام وسنانه)) .

وكان المسلمون الاوائل والجهاد يشكّل جزءاً لا ينفصل من حياتهم
العلمية وكانوا يرون فيه طريقاً سريعاً ومختصراً الى الجنة فينتظر كل واحد
فرصته الغالية في الجهاد في سبيل الله ويتسابقون اليه ويستبشرون به .

فهذا حنظلة بن ابي عامر وقد انفق شبابه في العمل والكدح حتى
جمع له مبلغاً من المال ليتزوج به ، وفي اول ليلة من زواجه وقد بدأ
يقطف ثمرة اتعابه ويعيش في ربيع احلامه وامانيه ، سمع منادي الجهاد
عند الفجر وأطلّ من نافذة داره فرأى المسلمين يحثّون السير ويركضون
ملبّين داعي الجهاد فما كان منه الا ان اسرع للخروج قبل ان يغتسل
غسل الجنابة ، وحاولت زوجته مقاومته ومنعه باستثارة عواطفه ودغدغة
مشاعره ، ولكنه رفض البقاء وأصرّ على الخروج ، فاستشهد في صبيحة يوم
عرسه .

وهذا عمرو بن الجموح وقد قطعت السنين شوطاً كبيراً من عمره
واصيب في احدى الغزوات في رجله فصار اعرج ، ولكنه رغم ذلك حينما
سمع منادي الجهاد ، وراى اولاده الاربعة يتجهزون للخروج لم تسمح

له نفسه بالتخلف رغم معارضة اولاده وزوجته فخرج مهرولاً يقول : اريد
ان أطأ بعرجتي الجنة .

الظاهرة الغريبة :

ولكن رغم الاهتمام والتركيز الاسلامي على الجهاد ومع اننا نمتلك
تاريخاً ضخماً من النضال والتضحية الا ان الملاحظ ان الجهاد في واقع
المتدينين المعاصر اصبح في سلة المهملات ، حتى صار الحديث عن
الجهاد عند المتدينين كلاماً مثالياً خيالياً ليس هذا وقته .

والظاهرة الغريبة هو هذا الفصل المتعمد بين التدين والجهاد ،
ففي القضايا المصيرية التي تعيشها الامة كقضية فلسطين وارتيريا والفلبين
ترى ان المتدينين لا وجود لهم على ساحة المعركة ولا في جبهة القتال ،
بينما غير المتدينين هم الذين يرفعون لواء المقاومة والنضال ! ! .

فالشيوعيون لهم منظماتهم العاملة في الساحة ، والبعثيون لهم دورهم
ونشاطهم في القضية ، واللامتزمون بالدين يبذلون انفسهم ويضحون من
اجل التحرير ، ولكن اين دور المتدينين ؟ .

أليست قضية فلسطين وارتيريا وامثالها قضايا اسلامية تهتم الدين
والامة لماذا أخلى المتدينون الساحة للملاحدة والمنحرفين ؟ .

هل نسخت فريضة الجهاد فلم تعد واجبة ولا مطلوبة من المتدينين؟
ام ان الامة اصبحت في غنى عن الجهاد ؟ .

والا فلماذا تقاعس المتدينون عن الجهاد ولماذا اهمل الحديث
عن الجهاد وصار حديثاً غير عملي ولا واقعي ؟ ؟ .

سنحاول الاجابة على هذه الاسئلة التي تفرض نفسها في الفقرات
التالية :

محااربة سلبيات النفس والرؤى المتخلفة = الجهاد الاكبر:

.....

الرؤى الموجودة في نفس الانسان والمفاهيم التي ينطوي عليها تفكيره

هي التي تحدد تصرفاته وتوجه حركاته . . فمثلاً ترى بعض الاثرياء يشتري ارضاً جرداء بعيدة عن المناطق السكنية ، لو عرضت على انسان آخر لما وافق على شرائها بأبخس ثمن وحينما تبحث عن السبب الذي دفع الاول الى شراء تلك الارض والسبب الذي جعل الثاني يعرض عن شرائها لوجدت ان السبب هو الرؤى المستقبلية الموجودة عند الاول حيث يفكر فيما بعد خمس سنوات حينما يمتد العمران وتصبح تلك الارض الجرداء مهمة وغالية وبهذه الرؤى وهذا التفكير اندفع لشراء الارض ، بينما الشخص الآخر لم يكن يمتلك هذه الرؤى لذلك اعرض عن شرائها .

وهكذا تتحكم الرؤى في توجيه الانسان وتحديد تصرفاته .

والجهاد وهو اخطر تصرف في حياة الانسان يحتاج الى رؤية معينة تدفع الانسان اليه ، وامتنا الاسلاميه في الماضي كانت تمتلك تلك الرؤى المطلوبة ولذلك اندفعت في طريق الجهاد بقوة وشوق ، اما المتدينون حالياً فهم ليس فقط يفقدون تلك الرؤى الجهادية وانما تكبل نفوسهم رؤى مضادة وسلبيات متخلفة هي التي اوجدت بينهم وبين الجهاد هذا البون الشاسع والهوة الكبيرة .

ومن هذا المنطلق فان الاسلام يركّز اولاً على هذا الجانب ويرى ان مكافحة سلبيات النفس وكنس الرؤى المتخلفة من داخل الانسان وزرع مفاهيم الجهاد والنضال في روح الفرد ، هذا العمل هو الجهاد الاكبر وهو الذي يجعل الانسان على اتم الاستعداد للجهاد والتضحية والفداء حينما تدعو الحاجة الى ذلك .

يقول الامام علي (عليه السلام) : ((ان رسول الله (صلى الله عليه

وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال مرحباً بقوم قضا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر قيل : يا رسول الله ! وما الجهاد الاكبر؟ ! قال : جهاد النفس ، افضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)) .

ويتحدث الامام علي (عليه السلام) بتوضيح اكثر عن هذا الموضوع فيقول : ((ميدانكم الاول انفسكم فان قدرتم عليها كنتم على غيرها اقدر وان عجزتم عنها كنتم عن غيرها اعجز ، فجربوا معها الكفاح اولاً)) .

السلبيات والرؤى المتخلفة :

والآن ما هي السلبيات التي تعشعش في نفس الانسان فتقعد به عن الجهاد وما هي الرؤى المتخلفة التي تترسب في تفكير الفرد فتمنعه عن الانطلاق وتحرمه من شرف النضال والتضحية وكيف يعالج الاسلام هذه المشكلة فيقاوم تلك السلبيات بنسف تلك الرؤى وما هي المفاهيم والرؤى البديلة التي يلحق الاسلام بها نفسية الفرد ؟ ؟ .

نستطيع ان نلخص الجواب فيما يلي :

١- الانشداد للحياة وحب الراحة فكل انسان بطبيعته يحب الحياة ويتشبث بها ويبحث عن الراحة ويحافظ عليها ، والجهاد يسلب من الانسان راحته ويعرضه لفقدان حياته ، وهنا تبدأ المعركة وينشب الصراع بين نفس الانسان الراغبة في الحياة والراحة وبين روح الالتزام بفريضة الجهاد الداعية الى الفداء والتضحية ، فاذا كان الانسان عميق الايمان متشبهاً برؤى الاسلام تغلب على سلبيات نفسه وسارع الى التضحية والجهاد والآن كان من المتخلفين المتقاعسين .

وبصراحة موضوعية يعالج الدين هذه المشكلة فيتحدث مع الانسان بمنطق واقعي صارخ : ايها الانسان المتقاعس عن الجهاد خوفاً من الموت واحتفاظاً بالراحة والحياة : هل انت ضامن لنفسك استمرار هذه

الراحة ودوام هذه الحياة ؟ ألا تتوقع مرضاً يسلبك راحتك او حادثاً يصادر حياتك ؟ وهل انت آمن من زيارة ملك الموت ؟ واذا كان الجواب - بالتأكيد - كلاً ، فلماذا تفوت على نفسك الفرصة وترضى بموتة رخيصة دون اي ثمن او مقابل ، بينما باستطاعتك ان تستفيد من موتك وتربح عزاً وكرامة وثواباً جزيلاً ؟ .

ومن ناحية اخرى ألسنت تؤمن بالآخرة وان هناك جنة ونارا فلماذا تعرض نفسك للنار بتقاعسك وتخسر الجنة العظيمة الخالدة من اجل الاحتفاظ ببضع ايام او سنوات في هذه الحياة المرهقة ؟ .

يقول تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ : انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ؟ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ؟ فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ، الْآنَ تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ)) .

ويقول الامام في نهجه الخالد : ((ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ، ولا يعجزه الهارب ، ان اكرم الموت القتل ! والذي نفس ابن ابي طالب بيده لا ألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله)) .

وفي خطبة اخرى يقول : ((وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة . . ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي، وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه)) .

ويقول الحسين بن علي (عليه السلام) :

وان تكن الابدان للموت انشئت فقتل امرئ في الله اولى وافضل

٢- الفهم الخاطيء للحياة والدين ، فاكثر الناس يفهمون الحياة على انها اكل وشرب ولذة ونوم فقط ، وعلى الانسان ان يوفر هذه الاشياء لنفسه ، اما العز والكرامة والشرف فليست اشياء ضرورية ان تتوفر بالجان

والآ ففي الاكل واللذة والراحة نعم الكفاية .

أما الانسان المؤمن الواعي فيفهم الحياة على انها عزّ وكرامة وشرف
فان لم تتوفر هذه الاشياء فلا قيمة للحياة اذا في احوال الذل والاهانة
والخنوع .

يقول الامام علي في نهجه العظيم : ((الموت في حياتكم مقهورين
والحياة في موتكم قاهرين)) .

ويقول شبلة الحسين الثائر : ((اني لا اري الموت الا شهادة والحياة
مع الظالمين الا برما)) .

وهناك قطاع آخر من الناس يعانون من سوء الفهم لموضوع الجهاد
في الدين فيقولون : ان ظروف الجهاد غير متوفرة حيث لا يوجد امام
معصوم يأذن للجهاد ، ولم يتوفر بعد مرجع ينوب عن الامام في قيادة
المعركة او الدعوة اليها . . . وهذه مغالطة يكتشفها من له ادنى اطلاع
على فقه الجهاد في الاسلام ، فالجهاد يقسمه الفقهاء الى قسمين :

أ- جهاد الغزو في سبيل الله لنشر الاسلام في المجتمعات
الاخري واعلاء كلمة الله في الارض .

وهذا الجهاد هو الذي يشترط فيه قيادة الامام او اذنه او اذن
المرجع ويكون وجوبه كفايياً اذا قامت به فئة من الامة سقط الوجوب عن
الباقيين .

يقول الامام علي في هذا المجال : ((لا يخرج المسلم في الجهاد مع
من لا يؤمن على الحكم (يعني القيادة غير الشرعية) ولا ينفذ في الفسء
امر الله عز وجل)) . يعني ليست قيادة عادلة .

ب- جهاد الدفاع عن الدين او عن الوطن الاسلامي او عن
حقوق الشعب او عن النفس والمال والعرض او عن المحرومين والمظلومين
. . . وهذا النضال مشروع بل واجب على كل فرد ولا يحتاج الى اذن

الامام او المرجع واذا قتل المجاهد عن احد هذه الاهداف السامية اعتبر شهيداً عند الله ، يقول الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) : ((من قتل دون عياله فهو شهيد ، ومن قتل دون مظلته (حقوقه) فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد)) .

وفي نهج البلاغة نجد الامام يعاتب قوماً ويوبخهم لانهم لم يقاوموا المعتدين عليهم من جيش معاوية ، يقول (عليه السلام) : ((ثم انصرفوا وافرين ما نال منهم كلم ولا اريق لهم دم)) ويقول : ((فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون)) .

ويقول استاذ العلماء صاحب الجواهر : ((اذا داهم المسلمين عدو من الكفار يخشى منه على بيضة الاسلام او يريد الاستيلاء على بلاد المسلمين واخذ اموالهم وجب الدفاع على الحر والعبد والذكر والانثى والسليم والمريض والاعمى والاعرج وغيرهم ، ان احتيج اليهم ، ولا يتوقف الوجوب على حضور الامام ولا اذنه ، ولا يختص بالمعتدى عليهم والمقصودين بالخصوص بل يجب النهوض على كل علم بالحال وان لم يكن الاعتداء موجهاً اليه ، هذا اذا لم يعلم بان من يراد الاعتداء عليهم قادرين على صد العدو ومقاومته)) .

٣- الاعذار المزيفة : وهناك قسم من الناس يؤمن بضرورة العمل والجهاد ولكنه يبرر جموده وتقاعدته باعذار مزيفة ، فتارة يحتج باتمام دراسته او بمسؤوليته التجارية ، واخرى يتعذر بعائلته واولاده وثالثة يلقي اللوم على الظروف الحرجة . . وهنا ياتي القرآن لينسف هذه الاعذار بقوة وليشجب التعلل بها ويهدد اصحابها بسوء المصير . . فيقول تعالى : ((قل ان كان آباؤكم وابنائكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامر ، والله لا يهدي القوم الفاسقين)) .

وحيثما ابتلي الامام علي (عليه السلام) باصحاب متقاعسين يبررون

تقاعسهم بتغيير الظروف والاحوال ، خطب فيهم خطبة عنيفة جاء فيها:
((فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحرّ قلتّم هذه حمارة القيظ امهلنا
يسبخ عنا الحرّ! واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتّم هذه صبارة
القرّ امهلنا ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فراراً من الحرّ والقرّ! فاذا
كنتم من الحرّ والقرّ تفرون فانتم والله من السيف أفر ! يا اشباه الرجال
ولا رجال حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت اني لم اركم
ولم اعرفكم)) .

٤- الثورية الكلامية : وبعض الناس يكتفي من الجهاد بحماسة
الكلام وثورية الكتابة والخطابة ولكنه حين تطلب منه تضحية عملية ونضالاً
حقيقياً ومهمة جهادية تراه ينهزم ويفرّ بعيداً بعيداً .

في هذا المجال يقول الامام في نهجه العادل مخاطباً بعض اصحابه
المتّصفين بهذه الصفة الخادعة :

((ايها الناس المجتمعمة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي
الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الاعداء ! تقولون في المجالس كيت وكيت
فاذا جاء القتال قلتّم : حيدي حياي)) .

بماذا ولماذا الجهاد :

'' '' '' '' '' '' '' '' '' '' '' ''

في مواجهة الاستعمار والظلم والانحراف يحتاج الاسلام الى مختلف
الطاقات والاسلحة ، فالاعلام سلاح ، والقلم سلاح ، والنشاط سلاح
والريال سلاح ، والتحرك الاجتماعي سلاح . . . والمعركة تتطلب كل هذه
الاسلحة ولذلك يقرن الرسول الاعظم (ص) مال خديجة بسيف علي
كسببين اساسيين لانتصار الاسلام ، وراثياً يحث القرآن على الجهاد بالمال
والنفس ويقول الامام علي (ع) : ((الله الله في الجهاد باموالكم
وانفسكم)) .

اما اهداف الجهاد في الاسلام فيمكن استعراضها بايجاز:

١- لنشر الاسلام في العالم وانقاذ البشرية من حكومات الضلال

والكفر : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) .

٢- للدفاع عن الدين والوطن والنفس والحقوق : ((من قتل دون مظلمة فهو شهيد)) .

٣- للإصلاح داخل الأمة ، يقول الامام : ((لا تقاتلنهم على تأويل القرآن كما قاتلتهم على تنزيله)) .

٤- للدفاع عن المظلومين والمحرومين ، يقول تعالى : ((وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين)) .

ويقول الامام : ((فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله)) .

